تآكل اللغة في الدراسات اللغوية الحديثة، مقاربة للفصحى والدارجة في اللغة العربية

إعداد
د. صالح بن فهد العصيمي
جامعة ـــ

الملخص

يعرض هذا البحثُ النقاشات التي تدور حول مفهوم تآكل اللغة في الدرس اللغوي الحديث، والمصطلحات الأخرى التي استخدمت للتعبير عن الظاهرة. ويربط الجدل اللساني الغربي بالحديث عن الحالة المشهورة للدارجة مع الفصحى في اللغة العربية وتداعيات هذه الظاهرة المحتملة سواء على النظام اللغوي الدارج أو الفصيح. ويخلص إلى أهمية الوعي بآثار تجاهل أو قمع النظام اللغوي المكتسب الدارج على تعلم النظام اللغوي الفصيح، كما يرى دراسة الدارجة لا تدريسها بوصفها انحرافا عن الفصحى ويمكن اعتبارها من أخطاء المتعلمين التي تستحق الدراسة. ويطرح في نهاية البحث توصية بالعناية بالنظامين وعدم التضحية بأحدهما في سبيل الآخر.

الكلمات المفتاحية:
الازدواجية اللغوية، تآكل اللغة، الدارجة، الفصحى أو المعيار.

Language Attrition in Modern Linguistics Research: Implications for Standard and Vernacular Arabic

By
Dr. ----

Abstract

This research presents the debate and controversies about language attrition in Applied Linguistics, and the related terminology that have emerged in the midst of this discussion. This linguistic debate is linked to the Arabic language situation in the Arab World, which is known as diglossia (the existence of standard and vernacular). It also discusses the implications of this phenomenon at both levels of formal and informal language use. The paper concludes that ignorance or suppressing the vernacular might have a side effect on both linguistic levels. It also suggests studying, not teaching, the vernacular as a deviant from the standard and can be considered as learner errors – an issue which warrants further research. At the end of the paper, the researcher recommends not neglecting one level nor scarifying it for the other.

Keywords: Diglossia, language attrition, vernacular, standard.

مقدمة

تآكل اللغة وتناقصها من الظواهر اللغوية التي أفاضت فيها الأدبيات الإنجليزية نظريا وتطبيقيا على الإنجليزية وعلى غيرها من اللغات العالمية باستثناء العربية؛ فالباحث يلاحظ عدم وجود مكتوب باللغة العربية حول الظاهرة لا على المستوى النظري ولا التطبيقي، فجلّ ما كُتب كان عن ظاهرة موت اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية وليس عن تآكل اللغة على المستوى الفردي للمتحدث بها، الذي هو ظاهرة لغوية فردية نفسية.

أقول هذا على الرغم من أننا في العربية نعاني الوضع المعروف بالازدواجية، وهي ظاهرة أثْرتها الأدبيات العربية هي وظاهرة موت اللغة وانقراضها؛ ولهذا رأيت أن أتحدث عن هذه الظاهرة وأكشف ما قيل فيها بالأدبيات اللسانية التطبيقية الحديثة محاولا مقاربة ذلك بوضع اللغة العربية بمستوييها الدارج والفصيح.

ولمعترض أن يقول إن جل ما كتب في التآكل ينصرف للغة الأم أو للثنائية اللغوية في أوضاع غير الازدواجية؛ بينما أتحدث هنا عن وضع الازدواجية. وهذا اعتراض صحيح إلا أنني أجيب عنه بأمرين:

1- في رأيي أن الحديث عن التآكل في الثنائية لا يختلف كثيرا عنه في الازدواجية، يؤيد ذلك الرأي الذي يقول إن الدارجة لغة تختلف عن الفصحى ونظام لغوي مستقل. أي تنطبق عليهما قوانين الثنائية.

2- أن نقاش التآكل في الأدبيات ثري في اللغة الأم وفي الثنائية، ولا يوجد حديث يقابله ثراء في الازدواجية؛ ولهذا لم يكن أمامي إلا الاستعانة بالموجود لحين وجود أدبيات في التآكل في وضع الازدواجية.

3- ذكر سلفينا مونترول (Silvina A. Montrul, 2008:206) أنه يبدو أن الاكتساب غير المكتمل للغة الأولى يتقاسم مع نفس الظاهرة في اللغة الثانية العديد من الخصائص.

4- أنه سواء قلنا إن الوضع في العربية ثنائية أو ازدواجية أو ليس أحدهما فظاهرة التآكل موجودة في كل التنوعات والمستويات اللغوية.

الدراسات السابقة:

إن الدارس فيما كُتب باللغة الإنجليزية حول ظاهرة التآكل يجد تراثا غنيا سواء على مستوى التنظير أو على مستوى التطبيق، فهناك المراجع التي أفردت فصولا للحديث عن الظاهرة مثل

ديفز وإلدر (Davies and Elder, 2004) في كتابهما الضخم للسانيات التطبيقية الذي أفردا فيه فصلا للباحثَين (Schmid, Monika and Kees De Bot, 2004) للحديث عن الظاهرة، وحصرا المناقشة على تآكل اللغة الأم. بل هناك كتب أُفردت للحديث عن التآكل أو عن مظهر أو عامل من مظاهره وعوامله مثل (Silvina A. Montrul, 2008.) الذي تحدث عن الاكتساب الناقص (غير المكتمل) لدى ثنائي اللغة وعامل السنّ أو الفترة الحرجة. ولا بد من الإشارة إلى ما ذكره فرانشيسكو (Francois Grosjean, 2010:91) وهو أن موضوع نسيان اللغة لم يحظ في الماضي باهتمام على الرغم من شيوعه في تعلم اللغة.

وإذا انتقلنا إلى المكتوب للغة العربية وبها وجدنا أن الأدبيات ركزت على ظاهرة انقراض اللغات وموتها مثل (المحمود، محمود، 1437هـ) الذي كان عن انقراض اللغات وازدهارها وشارك فيه مجموعة من الباحثين حول ظاهرة الانقراض منسوبا إلى اللغة، وتصفحت مراجع كل بحث فيه فلم أجد أي بحث أو مؤلَّف عن ظاهرة التآكل منسوبة إلى الفرد.

وقد يكون المكتوب الوحيد عن التآكل باللغة العربية ما ترجمه الحمد وعبيدات (1437هـ) في المبحث الذي يضمه الكتاب المشار إليه سابقا (Davies and Elder, 2004). وهناك إشارة لدى الحارثي (1433هـ: ص 35) إلى ظاهرتي موت اللغة (language death) أو انقراضها (language extinction) وأنها تستخدم لنفس ظاهرة تآكل اللغة، ثم عقّب بأن هناك من يميز بين التآكل والموت: فالتآكل هو "خسارة الكفايات على مستوى أفراد المجتمع. وأما موت اللغة فيعني عدم استخدامها في حياة المجتمع اليومية، أو عدم وجود من يتحدث بها في قضاء حاجاته اليومية" وأعتقد أن هذا هو الصحيح؛ لكنه على كل حال تحدث في بحثه أو كتابه عن موت اللغة (الاجتماعي). ولا يوجد في بحثه أي إشارة إلى قضية التآكل ولا أي بحث في قوائم المراجع عن هذه القضية.

على الرغم مما تقدمه الأدبيات العربية مؤلَّفة أو مترجمة من ثراء كبير على مستوى موت اللغة وانقراضها تظل الحاجة إلى الحديث عن التآكل على المستوى الفردي ومحاولة المقاربة بما نعانيه في اللغة العربية من الوضع المزدوج للتنوعين أو نظامين لغويين سواء رأيناهما لغة واحدة أو لغتين. وهذا ما تحاول هذه الدراسة الإجابة عنه.

أهداف البحث:

هذه الدراسة النظرية تحاول تحقيق هدفين هما:

1- الحديث عن ظاهرة تآكل اللغة باللغة العربية ومناقشة الجدل في اللسانيات الحديثة.
2- محاولة المقاربة للظاهرة بمستويي اللغة العربية (الدارج والفصيح)، وتجلياتها في حياتنا اليومية.

المقصود بتآكل اللغة:

ذكرت شميد وبوت (Schmid, Monika

and Kees De Bot, 2004:226) أنه لا يوجد تعريف محدد متفق عليه للتآكل اللغوي، كل ما هنالك عدة محاولات لمعرفة من عنده عدم تواؤم مع الصيغ اللغوية مقارنة بالمتقن للغة (الذي لم يظهر لديه التآكل). مثل مقارنة المنحسر (الذي حدث لديه التآكل) بغير المنحسر- بناء على اختبارات ودلالات إحصائية. ولكن لا بد لنا من محاولة التعريف التوضيحي للظاهرة، فقد ذكر سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:64) أن التآكل "حالة خاصة من فقدان اللغة على المستوى الشخصي- (الفردي)". ثم أشار إلى أسبابه العصبية (العضوية) مثل الحبسة والزهايمر والتقدم في السن، وإلى الأسباب غير العصبية وهي التي تناقشها أدبيات الثنائية والاحتكاك اللغوي وسياقاته. وذكرت كاميرون أن التآكل نوع من ضياع اللغة على المستوى الشخصي (انظر Cameron. Deborah, 2012:64).

فهو إذن حالة من فقدان جزئي لمظاهر أو مستويات أو عناصر في اللغة لأسباب اجتماعية أو لغوية. وما دمنا ذكرنا مفردة الفقدان (loss) فلا بد من توضيح أمر في غاية الأهمية، وهو أن التآكل (attrition) مصطلح عام يطلق على عدد من الظواهر تشترك في خلل غير عصبي في اللغة الفردية، وسنجد في الأدبيات الإنجليزية مصطلحات متعددة ذُكرت حين نقاش التآكل وسنعرض لبعضها تاليا، كما أن الترجمات العربية تعكس أيضا زاوية النظر؛ لكن لا بد من تحديد الظاهرة محل النقاش هنا بأمرين مهمين:

1- أن التآكل يحدث بسبب غير عضوي (عصبي).
2- أنه يحدث على المستوى الشخصي (نفسي).

وبالشرط الأول نخرج ما كان بسبب الأمراض أو السن أنه يناقش في مجال الطب والاحتياجات الخاصة، وبالثاني نخرج مسألة انقراض اللغة على المستوى الاجتماعي.

وربما يفسره قول الجاحظ في البيان والتبيين (1423هـ: 1/ 293) حين حديثه عن موسى بن سيّار الأسواري وعن فصاحته بالفارسية التي كانت في وزن فصاحته بالعربية: "واللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها إلا ما ذكرناه من لسان موسى بن سيار الأسواري" فيرى الجاحظ أن كل لغة تؤثر سلبا بالضرورة على الأخرى. في الفقرة التالية سنعرض لبعض المصطلحات المطروحة وترجمتها لتوضيح مدى التعقيد في هذه الظاهرة.

المصطلحات الواردة في الأدبيات:

لا بد من التأكيد مرة أخرى على أن اختيار مصطلح ما يعكس زاوية النظر إلى الظاهرة؛ فاختيار مفردة التآكل مثلا يعني أنه حصل تناقص بعد اكتمال؛ بينما من لا يرى مناسبة المصطلح يتساءل عن كون الاكتساب حدث أم لم يحدث في الأصل للظاهرة محل الدراسة فيطلق عليها الاكتساب الناقص.

وبالنسبة للغة الإنجليزية فقد طُرحت بعض المصطلحات التي تشير بشكل أو بآخر إلى الظاهرة نفسها مع الاختلاف في العملية

الإجرائية لها أو في شرح الظاهرة وتوضيحها. على سبيل المثال نحن أمام المصطلح المطروح في العنوان وهو (attrition) الذي يمكن أن يُترجم بـ: تآكل، أو تضاؤل (كما ترجمه الحمد وعبيدات، 1437هـ)، أو تناقص، أو تراجع، أو تلاشي، أو اضمحلال (كما ترجمه الحارثي، 1433هـ: 35)، أو تقهقر[1]، أو انحسار. ولذلك فأيّ مصطلح من هذه المصطلحات وجدناه في الأدبيات العربية نعرف أنها تتحدث عن الظاهرة محل الدراسة هنا.

ومن المصطلحات (المفردات) المطروحة شرحا للظاهرة: تراجع أو انتكاس الاكتساب اللغوي (reversal) لدى (Schmid, Monika and Kees De Bot, 2004:210) أو ربما عدم اكتمال الاكتساب بسبب عدم الاحتكاك أو عدم التواصل، أي يتراجع مستوى المهارة اللغوية والحذق فيها.

كما يشيع استخدام مفردة الفقدان أو الضياع أو الخسارة (loss) (انظر مثلا Schmid, Monika and Kees De Bot, 2004:212)؛ فهذا تعبير عن فقدان وربما عدم أمل في العودة لدى بعض المقاربات التي سنتعرض لها لاحقا. وقد نقول إنها اندثار.

ومن المفردات ما طرحته اللسانيات النفسية في تساؤلاتها هل الظاهرة فقدان تام وعدم أمل في العودة؟ أم هي مسألة إتاحية ونفاذ (accessing) في وقت معين؟ أم هي نسيان (forgetting)؛ فالسؤال الذي طرحته: هل الانحسار ضياع وفقدان (lost)؟ أم مجرد مشكلة إتاحية (access) مؤقتة وبالتالي يمكن رجوع المظهر اللغوي في مواقف أخرى؟ وهل أي معرفة حين تُكتسب يمكن أن تضيع من الذاكرة؟ أم يحدث لها مجرد نسيان؟ أم تكون معاناة مع عدم إتاحية في وقت معين؟ (Schmid, Monika and Kees De Bot, 2004:214-215).

وبطريقة مشابهة طرق فرانشيسكو (Francois Grosjean, 2010:90) الموضوع وسمّاه نسيان اللغة (language forgetting)، وتحدث عن سبب اختياره للمصطلح على الرغم من أنه لا يعرف بالضبط هل هو نسيان أم خمول مؤقت (deactivation)، وعلى الرغم من وجود مصطلحات أخرى مثل الفقد (loss) والتآكل (attrition).

كما سترد مفردة الاكتساب غير المكتمل (incomplete acquisition) في جل المراجع في كثير من القضايا التي سنتطرق إليها لاحقا. فالتآكل نقص بعد كمال؛ أما الاكتساب الناقص فلم يحدث اكتساب للظاهرة أصلا أو كان الاكتساب مشوّها (انظر لنقاش مشابه Cameron. Deborah, 2012:20-2). كما أشارت كاميرون أيضا إلى حالة النضج اللغوي غير المكتمل أو الناقص (ص33). سننتقل الآن إلى المقاربات التي درست الظاهرة من زوايا متعددة وسألقي الضوء على ما يمكن أن ننظر به

(1) هكذا ترجمه يحيى الظلمي في تويتر.

إلى لغتنا العربية بمستوييها الدارج والفصيح؛ فهذا ما يميز هذه الورقة عن غيرها مما كُتب أو تُرجم.

المقاربات النظرية والمنهجية:

أفاض الحمد وعبيدات في ترجمتها (الحمد وعبيدات، 1437هـ) في الحديث عن المقاربات كما هي في الأدبيات الإنجليزية: توصيفا لكل نموذج وذكرا لإشكالاته وللدراسات في ضوئه، ولهذا لن أطنب في الحديث لكن سأضيف هنا - فضلا عن الإحالة إلى المرجع الأصل- محاولة الإفادة من هذه المقاربات في الوضع المعروف للغة العربية بمستوييها الدارج والفصيح، كما سأضيف ما ذكرته المراجع الأخرى التي ناقشت التآكل وتأثيره الكامن والمحتمل. فمن المقاربات النظرية التي تحدثت عن التآكل سواء في أدبيات اللغة الأولى أو الثنائية اللغوية[1]:

الأولى[2]: فرضية النكوص (أو التراجع، أو التردي، أو الانحسار) (the regression hypothesis) لـ جاكبسون (Jakobson, 1941)، وهي أقدم فرضية وأكثرها إثارة للجدل.

وهي تقوم على أن ما يُكتسب أولا في مراحل الطفولة لن يُفقد ولن يتآكل إلا متأخرا بعدما يُكتسب تاليا، وبعبارة أخرى ذكر سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:69) أن الادعاء المركزي لهذه الفرضية: أن الاكتساب صورة مرآة عاكسة [وعكسية أيضا] للتآكل، ويُعرف مبدؤهم:

(The last in, first out) أي الداخل آخرا هو الخارج أولا. ونقل سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:70) أن كثيرا من الباحثين وافقوا على ترابط الاكتساب والتآكل بشكل عكسي (related in reverse)، كما أكّد على أن من المبادئ التي تطرحها: أن مظاهر اللغة الأسس (العامة بين اللغات) تُتعلَّم قبل المتغيرات (الخاصة باللغة الهدف)؛ ولهذا فالتآكل يحدث بالعكس: ضياع خصائص اللغة المعنية وشواذها وجملها المعقدة أولا. وذكرت شميد وبوت (Schmid, Monika and Kees De Bot, 2004:212) أن هناك من يرى أن ما يُكتسب بشكل أفضل وليس ما يُكتسب أولا أقل عرضة للضياع (الفقدان) اللغوي language loss، فيُنظر إلى الاكتساب اللغوي كما يُنظر إلى الطبقات (منها المعجمي والقواعد والمفردات...).

نحن إذن أمام مقولتين مهمتين:

1- المكتسب أولا هو الأبقى والأعمق؛ بينما المكتسب آخرا عرضة للتآكل والفقد.

2- المكتسب بشكل أفضل هو الأبقى؛ بينما المكتسب سطحيا عرضة للتآكل والفقد.

---

(1) في Schmid, Monika and Kees De Bot, 2004:216 جعلها أربع مقاربات مفردا اللسانيات النفسية بقسم رابع.

(2) المعلومات مستقاة من (Schmid, Monika and Kees De Bot, 2004:211-212؛ و Silvina A. Montrul, 2008:69-75). وفي كتاب الحمد وعبيدات المترجم ذكرا أربع مقاربات.

فما انعكاس ذلك وتداعياته على العربية؟

ربما نطرح ثلاثة مضامين هنا:

1- يجب أن نهتم بمرحلة الاكتساب اللغوي والتركيز في مراحل التعليم الأولى على رياض الأطفال؛ لأنه أسبق واكتُسب بشكل أفضل وبشكل تلقائي.

2- أن ندرك أن النظام اللغوي الدارج هو الأبقى وسيكون عصيا على الطمس والتجاهل إذا حاولنا ذلك في سبيل الحرص على الفصحى؛ ولذلك فدراسة الدارج وليس تدريسه والترويج له قد تسهم في حفظ النظام الفصيح.

3- نؤكد على ضرورة التركيز على ما بين الدارج والفصيح من مبادئ لأن هذه المبادئ هي الأبقى من المتغيرات في التنوعين، فقد نعدّ الإعراب من المتغيرات التي هي عرضة للتآكل والانحسار؛ بينما التركيب والمعجم المشترك بين المستويين (الدارج والفصيح) سيكون أبقى.

وقد قيّم سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:75) هذه المقاربة قائلا: إن ما نلاحظه هو أن الأخطاء التي تتوافق معها بنفس القدر من الأخطاء –المنسوبة للتآكل– التي يمكن نسبتها إلى المقاربات الأخرى. أي أنه يمكن لنا أن نستدل لها بالقدر نفسه من الاعتراض عليها بناء على ما نلاحظه.

الثانية: القواعد الكلية (universal grammar (UG)) (Schmid, Monika and Kees De Bot, 2004:214) أو كما أطلق عليها سلفينا (Silvina A. Montrul. 2008:75) المقاربة التوليدية (the generative approach)، وذكر أن هذه المقاربة يمكن أن تفسر ما يحدث من مظاهر التآكل بنفس قدر المقاربة الأولى. فهي قريبة من الفرضية الأولى لكن فيها تركيزا على عوامل الاكتساب من مبادئ (principles) ومتغيرات (parameters) (Schmid, Monika and Kees De Bot, 2004:214).

وفي نقاشها عمق يتحدث عن المتغيرات بين اللغتين حيث يغيب استعمال (متغير) لإحدى اللغتين فيحل محله استعمال (متغير) في اللغة التي فيها هذا الاستعمال (Schmid, Monika and Kees De Bot, 2004:214)؛ أي أن التآكل قد ينحصر في المتغيرات لا يتعداه إلى المبادئ. لكن السؤال المطروح: هل هذا الحلول هو عودة –على المستوى الإدراكي– للقواعد الكلية (المبادئ)؟ وملء المتغيرات؟ (Schmid, Monika and Kees De Bot, 2004:214)؛ على أية حال ربما لا يعنينا هذا السؤال إلا في مستواه النظري؛ أما في التطبيق فالذي يهمنا: ما انعكاس هذا على العربية الفصحى والدارجة؟ ربما ينبغي للمهتم بالجانب النظري البحث فيما بين الدارجة والفصحى من مبادئ وكذلك متغيرات. أي أن دراسة الدارجة مهمة ليس لأجلها بقدر ما هي للبحث عما يمكن أن يكون من مبادئ بينها وبين الفصحى وليس متغيرات، مثلا المفردات المشتركة وتركيب الجمل بينهما...

من جانب آخر يرى سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:75-6) أن المشكلة هي رؤية الكفاية مستقرة (stable)، وكذلك قضية المتحدث-السامع الأصلي النموذجي؛ إذ هذه الحالة تنفي وقوع التآكل الفعلي على الأقل في مستوى تمثيل الكفاية اللغوية. أي أن الإنتاج وإن كان يحيد عن الصحيح فلسنا متأكدين هل هو يحيد على المستوى السطحي أم على السطحي والعميق (الكفاية) أيضا. وهذا ما يجعلني أؤكد هنا على دور الدارجة في النظام اللغوي للعربي.

الثالثة: أطلقت عليها شميد وبوت (Schmid, Monika and Kees De Bot, 2004:212) التواصل (الاحتكاك) اللغوي وتغير اللغة (language contact and language change)، وذكرا فيها أن الخصائص المتقاربة بين اللغة الأولى والهدف (في حالتنا نقول تنوع الدارجة وتنوع الفصحى) من المحتمل بقاؤهما؛ أما ما ليس له مثيل في اللغة الهدف فيضيع (ويتآكل). أي في حالة الفصحى كما الإعراب أواخر الكلم مما ليس له مثيل في الدارجة فهو عرضة للضياع لأنه يُتعلَّم -لا يكتسب- إلا متأخرا ولا يُتواصل به بشكل مكثف؛ فليس من المبادئ بل من المتغيرات. على أية حال فقد نبهانا إلى استحالة أو صعوبة -على أقل تقدير- التفريق بين التغير اللغوي language change واللغة المرحلية interlanguage. وبعبارة أخرى ربما يكون هناك مظاهر تُفتقد أو تنحسر في الأولى فيستعين الشخص فيها بالثانية؛ لكن يبقى السؤال: هل التغير بسبب التغير اللغوي أم بسبب اللغة المرحلية (النظام اللغوي بين اللغتين في مرحلة التعلم)؟ طبعا هناك من يرى أن أي فراغ يحدث في اللغة المنحسرة يملؤه نظام اللغة غير المنحسرة. ويمكن أن نقول إن أي فراغ في استخدام الفصحى سيملؤه ما اكتسبه العربي من الدارجة.

وفي الحديث عما سماه مقاربة عتبة التنشيط (the activation threshold hypothesis) ذكر سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:81) كلاما مهما جدا إذا حاولنا الإفادة منه في العربية، وهو أن الأمر لا يقتصر على ما تريانه المقاربتان الأخريان من كون المكتسَب أخيرا وكذلك ما هو متغير (خاصية لغوية) عرضة للتآكل؛ بل ترى كذلك أن ما اكتُسب بشكل أفضل من خلال التكرار والتعزيز (frequency and reinforcement) هو الأبقى. فربما تكون الحالة ليست ضياعا للأولى بقدر ما هي أنها أصبحت أقل إتاحية خلال عملية الإنتاج، وهذا قريب مما تطرحه الميكانزمات النفسية اللغوية خلف التذكر والنسيان نتيجة لتأثير اللغة الثانية ولعمليات الإدراك والتنشيط والقمع أو الكبت (activation and inhabitation: Green, 1986 مذكور في Silvina A. Montrul, 2008:81)؛ ولذلك لا بد من أن نعي آثار هذه الفرضية في الفصحى والدارجة في إطار عوامل السرعة في الإنتاج والوقت المتاح وكذلك الحاجة للتصحيح والرجوع للمعجم؛ فالتعرض والاستخدام

المتكرر للمظهر اللغوي يحميه من التآكل والعكس صحيح خاصة في ظل التعويض بلغة ثانية أو بمستوى آخر كالدارج بالنسبة للفصحى. كما أكّد سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:82) على أن هناك تنبؤا آخر لهذه الفرضية وهو أنه كلما قل استخدام الأولى كان هناك تآكل بسبب أن منافسة الثانية ستكون أكبر، ويمكن القول إن المراحل الأولى للتآكل تتمظهر على شكل عدم القدرة على تذكر المفردات؛ ونتيجة لذلك يستعير المتكلم ويكيّف الكلمات من الثانية. وهذا يدعونا إلى أهمية التركيز في مراحل التعلم الأولى خاصة على التعرض وعلى الاستخدام في التنوع الذي نرغب فيه؛ فهما الوجهان اللذان يعدان حاميين عن التآكل. فيكون هناك تكرار وتعزيز/ استخدام مكثف للمستوى المرغوب فيه (الفصيح) حتى يتحول إلى نظام مكتسَب عصي- على التآكل.

ولا بد من الإشارة إلى أن المظاهر (أو المستويات) اللغوية تختلف فيما بينها في حدوث التآكل من عدمه، كما أن بعضها يكون عرضة لحدوث التآكل أكثر من غيره، هذه المستويات هي المعجم والصرف والنحو (التركيب)، وقد ذكرتها الأدبيات خاصة ترجمة الحمد وعبيدات (1437هـ)؛ ولذلك لن أسهب فيها إذ يمكن للقارئ الرجوع إلى الترجمة. كما أن العوامل الاجتماعية اللغوية لحدوث التآكل نوقشت بعمق في الترجمة؛ ولهذا لن أتوقف عندها كثيرا. الذي يهمنا هنا ما أثارته المراجع الأخرى حول قضايا مهمة جدا مثل: عامل السن والفترة الحرجة، هل التآكل فعلا تآكل أم عدم نضج لغوي، وكذلك قضايا الاكتساب والاكتساب الناقص، والتحجر... هذه القضايا ستكون مدار النقاش في الفقرات التالية مع محاولة ربطها بوضع اللغة العربية.

قضايا مركزية في التآكل:

أشار سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:20) إلى ما يمكن تسميته الاكتساب الناقص أو الاكتساب غير المكتمل (incomplete acquisition)، وذكر أن هذه الحالة مع الحالات الأخرى من النضج اللغوي غير المشابه للمتحدث الأصلي (non native-like attainment) نتائج متوقعة ولا يمكن رفضها لتأخر الثنائية اللغوية (في حال العربية نقول الازدواجية)؛ لكن يبقى التساؤل هل هذه النتيجة بسبب وجود الفترة الحرجة فقط كما يُذكر دائما؟ هذا الأمر يدعونا للحرص على تعرض الطفل العربي للمستوى الفصيح من سنيه الأولى. كما أشار (Silvina A. Montrul, 2008:21) كثيرا إلى اكتساب اللغة الأولى غير المكتمل (incomplete L1 acquisition) وتآكل الأولى (L1 attrition) منبّها إلى أن الأطفال ثنائيي اللغة (ونقول مزدوجيها) الذين لا يتلقون تعليما في المدارس باللغة المعيارية (standard language) سينتهي بهم المطاف إلى حالة عدم الكمال (incompleteness) أو انعدام (no knowledge) لبعض الخصائص القواعدية (النحوية) لدى

المتعلمين الراشدين. وقد ناقشت كاميرون (Cameron. Deborah, 2012:31, 34, 41) قضية الدقة اللغوية ويمكن لنا ربطها بدور الدارجة في الفصحى لدينا نحن أبناء العربية، فالذي يحدث لدينا في الفصحى ما يمكن أن نسميه نضجا لغويا غير مكتمل وربما ينتج عنه تحجر بالفصحى أو في بعض مظاهرها ومستوياتها وعناصرها.

بالإضافة إلى ذلك فقد بيّن سلفينا في كتابه (Silvina A. Montrul, 2008:22) أن التناسب عكسي ما بين اكتساب اللغة الأولى غير المكتمل وتآكلها من جهة، وسن الاكتساب وبداية الثنائية (أو نقول الازدواجية) من جهة أخرى، على الرغم من تحفظه على عزو حدوث التآكل إلى العمر فحسب. لكن في المقابل يؤكد على أهمية الفترة الحرجة في قضيتي الحفاظ على الأولى (L1 maintenance) أو ضياعها (loss). وهذا ما يدعونا إلى التأكيد على سنوات التعليم الأولى التي قد تكون حصانة عن التآكل حتى وإن لم يكن هناك استخدام مكثف للغة.

ومن المهم أن نشير إلى أهمية تعرض الطفل للغة وبداية ذلك التعرض بأسرع ما يمكن إذا كنا نرغب في تمكّن الطفل أو نضجه اللغوي الفصيح ليصل إلى حد المتحدث الأصلي أو قريب منه؛ فقد ذكر سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008: 37, 41) في نقاشه للكفاية غير المكتملة الشبيهة بكفاية المتحدث الأصلي (incomplete near-native competence) -وليست كفاية المتحدث الأصلي- أنه على الرغم من أن أدبيات الثنائية اللغوية ترى إمكانية حدوث النضج لدى المتعلم مع صعوبته البالغة إلا أنها أكدت على تناسبه عكسيا مع السن؛ فكلما تقدمت سن التعرض للغة قلت فرص تحقيق مستويات لغوية تضاهي المتحدث الأصلي. على أية حال فقد أكّد بوضوح (ص62) أن التعرض الطبيعي المكثف للغة الثانية لا يقتضي إطلاقا أو لا يضمن نضجا لغويا مماثلا للمتحدث الأصلي كاملا، ولا يفضي كذلك إلى تآكل الأولى بصورة حتمية. وهذا الرأي ربما يطمئن من يخاف على الفصحى من الدارجة؛ إذ لا يعزّز تخوفنا من الدارجة وتأثيرها السلبي على الفصحى.

وهناك قضية مهمة طرحتها الأدبيات وهي أن التآكل ليس عشوائيا (Cameron. Deborah, 1995:66؛ و Silvina A. Montrul, 2008: 66, 7)؛ إنما يحدث محكوما بنظام معين مثله مثل الاكتساب والتعلم، فقد أشار سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:66) إلى أن التآكل مثل التحجر يتمظهر في بنية اللغة بشكل اختياري (منظم) يحدث في الصرف أو القواعد أو النطق أو استرجاع الكلمات أو وجود لكنة أجنبية أو الموافقة في الجنس أو العدد إلخ. بل يرى سيليقر (Seliger, 1991 منقول من Silvina A. Montrul, 2008:66) أن التآكل عملية محكومة بقاعدة (rule-governed). ثم أكد على أن الراشد إذا اكتسب اللغة طفلا فلا يُتصور حدوث تآكل كامل؛ إنما التآكل مثل التحجر محكوم

بموقع (localized) ومظهر أو جانب لغوي معين (Silvina A. Montrul, 2008:66). وأكّد أنه من خلال الملاحظة يوجد الكثير من متحدثي الثانية لديهم معرفة شبيهة بمعرفة المتحدث الأصلي في العديد من المظاهر اللغوية لكن تبقى المظاهر الأخرى مشابهة لغير المتحدث الأصلي (Silvina A. Montrul, 2008:67). وهذا ما يدعوني إلى إعادة النظر في تعميم الضعف اللغوي؛ إذ ربما يكون الضعف في الإعراب على أواخر الكلم دون المعجم والصرف والتركيب أو يكون في بعض القواعد الإملائية حين الكتابة.

في المقابل أشار سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:66) إلى أن القول بأن عملية التآكل اختيارية (selectivity of attrition) يطرح تساؤلا حول الكفاية اللغوية للراشد المتكلم الأصلي النموذجي (في إشارة ربما إلى تشومسكي)؛ فلماذا يظهر التآكل في بعض المظاهر ولا يظهر في أخرى؟ ولماذا بعض الأفراد أكثر عرضة للتآكل من الآخرين؟

لعلنا نشير إلى قضية مهمة أثارتها الأدبيات وهي النمو غير المتوازن في اللغتين (لدى الثنائي ونقول التنوعين لدى المزدوج) (unbalanced development) في مراحل الطفولة الأولى، فقد أشار سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:93) إلى أن النضج اللغوي التام في لغتين ممكن إذا بدأ المتعلم فيهما في سن الطفولة -وبشروط أخرى- إلا أنه أحيانا يكون هناك نمو غير متوازن وتكون هناك لغة أضعف أو أقل دعما من الجماعة المحيطة. كما أشار (Silvina A. Montrul, 2008:99) إلى وضع لا يدعم تعلم اللغتين لدى الثنائي، وأراه مطابقا لوضعنا المزدوج في العربية، وهو أن أحادي اللغة يحظى بتعرض كاف للغة لكي يحصل في النهاية على كفاية لغوية تامة في لغتهم الأم، وتُصقل هذه الكفاية وتُعزَّز في التعليم في المدارس حيث يتعلم الطفل القراءة والكتابة والمهارات الأخرى؛ في المقابل فالثنائي (والمزدوج في العربية) يتلقى تعرضا أقل في سنيه الأولى في كلٍ من التنوعين (اللغتين)، وتكون الفرص لكلتا اللغتين لديه أقل تكافؤا، والنتيجة أن الحصول على كفاية لغوية تامة وإن كان ممكنا نظريا إلا أنه ليس مضمونا في هذه الحالة. فلا هو أتقن الدارجة ولا أتقن الفصحى.

ولا بد من التنبيه إلى أن اللغة الأقل شيوعا في الاستخدام ستكون وظيفيا، ونفسيا لغويا، ونحويا أضعف (Silvina A. Montrul, 2008:107)؛ فلعلنا ننتبه إلى تأثير ذلك على الفصحى وهو المستوى المرغوب، كما أن الأدبيات (انظر مثلا Silvina A. Montrul, 2008:107) ترجّح أنه قد ينتج عن الخرج اللغوي القليل والاستخدام الضعيف مظاهر تآكل أو اكتساب غير مكتمل أو المساومة ما بين الكفايتين (للأولى والثانية) في بعض الجوانب النحوية. فقد أكّد سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:117) أن التواصل المكثف (intense contact) بلغة تزاحم لغة (أو نقول تنوعا) يقلل فرص هذه الأخرى مما يعرّضها لتعرض

واستخدام قليلين (reduced exposure and use)، وربما يقود للتآكل. كما ذكر (120و162) أن هناك بحوثا في مظاهر لغوية معينة تؤكد على أمرين (التعرض والاستخدام)، مع التأكيد على التساؤل التالي: هل الاكتساب في الأصل مكتمل كما لدى الراشد أم غير مكتمل كما هو لدى الطفل؟ فالبالغ حتى وإن قل استخدامه فهو لا يعاني من ضياع الأولى؛ بينما يجب أن نقلق في حالة الطفل الذي لم يكتمل اكتسابه ويصل حد النضج بعد. فلدينا مجموعة قضايا يجب أن نتنبه لها في التعامل مع العربية بمستوييها: احتكاك، وتعرض، واستخدام، هذه كلها تتوازى مع العمر واكمال الاكتساب والنضج.

والتحجر في الفصحى قد يكون على مستوى المفردات أو القواعد أو التركيب أو الإعراب أو الإملاء في حال الكتابة، فالتحجر حالة استقرار لغوي لكنه يتضمن انزياحا دائما أي معرفة لغوية مكتسبة غير مكتملة (ناقصة) أو مشوَّهة. هذا في حالة تأكدنا من أنه تحجر وليس عدم إتاحية مؤقتة.

وفي هذا الصدد ربما نحذر من أمر انتشر في بعض البلدان العربية وهو إلحاق أبنائهم في تعليمهم الابتدائي بالمدارس الأجنبية أو العالمية؛ فالنتيجة المتوقعة أن تكون لغتهم الأولى (العربية بتنوعاتها) عرضة للتآكل. إذ أشار سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:161,2) إلى أن عدم اكتمال الاكتساب بسبب النقص في التعرض لدى الأطفال من الأقليات التي تتحدث عائلاتهم اللغة الأخرى في البلد قد يعّرض لغاتهم للضياع قائلا: "كلما كان التعرض للغة الثانية أبكر زادت احتمالية شدة ضياع الأولى". كما أشار كذلك (Silvina A. Montrul, 2008:206) إلى أن تآكل الأولى (أو التنوع الأول) يتزامن مع اكتساب الثانية فينتج عنه عدم نضج لغوي (نضج غير مكتمل) للأولى، فبينهما ترابط وعلاقة عكسية. كما أكّد في موضع آخر (Silvina A. Montrul, 2008:162) أن الأطفال قد تتآكل لغتهم الأولى حين يرغبون في تعلم لغة ثانية في مجتمعهم الجديد (المدارس). وفي مبحث (اكتساب اللغة الأولى غير المكتمل وسن انطلاقة اكتساب الثانية) (ص193-4، وكذلك ص205) لخّص بفرضية مهمة جدا مفادها: أن ظهور تآكل اللغة الأولى لدى الثنائي قبل البلوغ (الرشد) في الثنائية المتزامنة التي يكون فيها تعرض الطفل للغتين مبكرا جدا أشد منه في التعاقبي الذي يحدث فيه اكتساب الثانية حين اكتمال اكتساب الأولى. وهذه الحالة هي حالتنا مع العربية بتنوعيها الدارج والفصيح. على أية حال فالسؤال المطروح هنا: إذا كان تعرضنا للفصحى في التعليم والمدارس والفعاليات الرسمية مكثفا فلماذا لا يحل محل الدارجة كما قرر سلفينا؟ أعتقد أن هذه الحالة جديرة بالدراسة.

ومما ننبه إليه قضية نبهت إليها الأدبيات وهي صعوبة التفريق بشكل دقيق ما بين التآكل والاكتساب غير المكتمل؛ ففي مبحث قابل فيه تآكل اللغة الأولى باكتسابها غير المكتمل ذكر

سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:163,4) صعوبة التفريق الصارم، مرجحا في الوقت نفسه أن من يكون تعرضه واستخدامه للثانية مبكرا فهو يصنفه بالاكتساب غير المكتمل. وأعتقد أنه هنا يؤسس رأيه افتراضا.

وقد استخدم بولينسكي (Polinsky, 1997 مذكور في Silvina A. Montrul, 2008:67) مصطلح ناسو اللغة الأولى (L1 forgetters)، كما تساءل شارود سميث (Sharwood Smith. 1983, 1989 مذكور في Silvina A. Montrul. 2008:67) عما إذا كان التآكل إشارة إلى انحسار (erosion) على مستوى الكفاية اللغوية أو على مستوى التمثيل والتمظهر (representation). كما أكّد سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:69) على أن السؤال الذي ينبغي طرحه: هل التآكل في الأداء والإنتاج أم في الكفاية؟ على سبيل المثال: ربما يكون التغير (chang –لاحظ الوصف بالتغير وليس التآكل) تمثيلا سطحيا لفقد الأتوماتيكية (الآلية) وسرعة الاسترداد [للكفاية أو نقول استحضار واستدعاء] وليست فقدانا عميقا للمعرفة اللغوية. هذه الأسئلة في ميدان اللغويات النفسية لها انعكاس على العربية الفصحى والدارجة؛ بل الأهم ما انعكاس هذا الجدل على الرطانة باللغة الأجنبية التي انتشرت على التكلم بالفصحى وعدم استخدام الألفاظ الفصيحة؟ هل هي مشكلة مؤقتة؟ أم فقدان للكفاية العربية؟

ويعضد هذا التساؤل الذي طرحناه ما تحدثت به شميد وبوت (Schmid, and Bot, 2004:215-6) في المستويات اللغوية وما أكّداه من أن هناك اتفاقا على نظرية قابلية الإعارة (borrowability) في النظام اللغوي: بمعنى أن المفردات المعجمية أكثر قابلية للاقتراض أو الإعارة من القواعد، وأن الأسماء أكثر من الأفعال، وهذا قاد إلى افتراض أن التآكل ليس عملية فقد المهارة اللغوية بقدر ما هي عملية اقتراض لغوي بمستوى معين، وكذلك أن التآكل سيظهر أولا في المعجم، وفي الاسم قبل الفعل؛ فنؤكّد على أهمية انعكاس هذا الجدل على الرطانة باللغة الأجنبية التي تنتشر بين العرب، وهل هناك رطانة في الأسماء والأفعال؟ وهل هناك رطانة على مستوى القواعد؟ فهذا المستوى في ظني هو الخطِر على اللغة العربية؛ ويؤكّد مشروعية تساؤلنا ما أشارت إليه شميد وبوت (Schmid, and Bot, 2004:215-6): هل code-switching (الانتقال والتحول اللغوي من شفرة إلى شفرة) يُعد دليلا على التآكل؟ فأجابا بأنه ليس دليلا كافيا؛ فهو قد يكون استخداما على مستوى السطح فقط، لأسباب عديدة منها التداولية أو أنها أكثر مناسبة من اللفظة الأم أو أسباب أخرى عديدة، فيمكن أن يكون تخوفنا ليس مبررا علميا على الرغم من أنه مبرر وجدانيا وعاطفيا.

ويؤكد على مشروعية ما طرحناه من تساؤلات ما ذكره سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:63) في فصل التآكل اللغوي في اللغة الأولى لدى الراشدين من أنه لا يوجد

متحدث أصلي ومتحدث شبيه أصلي فحسب؛ بل هناك قواعد أو نحو متحدث أصلي وربما جميع المظاهر اللغوية تضاف إلى المتحدث الأصلي إذا كان يملك أحدها دون الآخر. وهذا ما يطمئننا على اللغة العربية ككل. ننتقل في الفقرات التالية للحديث عن عوامل حدوث التآكل وأسبابه.

عوامل التآكل:

تحدثت الأدبيات بإفاضة عن العوامل التي تقود إلى تآكل اللغة لدى الشخص، ومنها الكتاب المترجم للحمد وعبيدات (1437هـ)، وهي متوفرة للقارئ العربي؛ ولهذا لن أسهب في هذه الجزئية بل سأمر عليها مرورا سريعا مع ربطها باللغة العربية وإضافة ما ذكرته الأدبيات الأخرى غير المتاحة للقارئ العربي.

فقد أشارت الأدبيات (انظر مثلا Schmid, and Bot, 2004:218-24، و Silvina A. Montrul, 2008:65) إلى تفاعل عوامل خارجية قد تكون عوامل غير لغوية خالصة:

منها العوامل الاجتماعية اللغوية مثل سن الشخص وتقدمه في العمر مما يفقده القدرات الإدراكية، وعامل التربية والتعليم في النظام التعليمي الذي يقمع لغة ويروّج لأخرى على حساب لغة المتعلم، وكذلك بداية ونهاية التعرض، وفرص الاستخدام والاحتكاك أو الممارسة.

وهناك العوامل الوجدانية كالاتجاه نحو اللغة والحافز لإبقائها والمحافظة عليها، والهوية والشعور بالانتماء والعاطفة نحو اللغة؛ فالسلوك اللغوي يعد من أهم مظاهر الهوية (Edwards, 1985 و Giles, Bourhis, & Taylor, 1977 مذكور في Schmid, and Bot, 2004:223) التي يمكن ملاحظتها، والتي يستطيع الشخص تغييره، أي يمكن تغيير السلوك ليخفي هويته ويظهر بأخرى؛ لكنه لا يستطيع تغيير هويته.

وقد أشارت شميد وبوت (Schmid, and Bot, 2004:221) إلى أن التعرض والاستخدام يرتبط بأمرين: الفرصة (opportunity)، والاختيار (choice). فالفرصة ليست في يد الشخص؛ بينما الاختيار في يده. وبهذا نطلب من مسؤولي التعليم توفير الفرص للتنوع المرغوب للعربية، ونطلب من المتعلم اهتبال الفرصة بزيادة الوعي والحافز لديه وتعزيز هويته. وكذلك ينبغي على المسؤولين عن التعليم تنمية الحافز الداخلي والارتباط بالهوية لكي تكون حاضرة لدى المتعلم تشحذ همته لإتقان اللغة بمستواها الفصيح.

كما أشار سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:64) إلى أن نقص الاستخدام للغة أو لتنوع يفضي إلى ظهور بعض مظاهر التآكل. مؤكدا في الوقت نفسه -كما ذكرنا سابقا- أن التعرض الطبيعي المكثف للغة الثانية لا يقتضي- إطلاقا أو لا يضمن نضجا لغويا مماثلا للمتحدث الأصلي كاملا، ولا يفضي كذلك إلى تآكل الأولى بصورة حتمية.

على أية حال فقد أشار سلفينا (Silvina A. Montrul. 2008:65) إلى أن الأدبيات لم تستطع إلى الآن فهم هذه العوامل بالتحديد ولا كيفية

تفاعلها سواء مستقلة أو مجتمعة ولا أيضا كيف تؤثر في عملية التآكل ولا نتائجه بشكل مباشر. فينبغي لنا الحذر حين الحديث عن إشكالية تآكل الفصحى لدينا نحن متحدثيها. سأنتقل الآن إلى الحديث عن عوامل تساعد على تفادي التآكل اللغوي.

مظاهر التآكل:

في هذه الفقرات سنذكر بعض المظاهر التي تحدثت عنها الأدبيات والتي يمكن من خلالها أن نتنبأ ببزوغ ظاهرة التآكل. ولابد أن نشير إلى أن هناك من يرى أن التآكل منظم وله بنية يمر من خلالها وليس عشوائيا سواء قلنا إنه تآكل أو عدم اكتمال للبنية النحوية لدى الشخص (انظر مثلا Silvina A. Montrul, 2008:167). ولهذا علينا التنبه حين نصادف هذه المظاهر أو بعضها في لغتنا أو لغة أطفالنا. كما أن لكل مستوى من مستويات التآكل (المعجم، الصرف، التركيب) مظاهر متعددة يمكن ملاحظة التآكل من خلالها (Schmid, and Bot, 2004:216, 7).

فمن المظاهر التآكل على مستوى الحرف أو الصوت (phonology) في بعض الأصوات (انظر مثلا Silvina A. Montrul, 2008:168، و Schmid, and Bot, 2004:216) مثل أن يغيب لفظ (صوت) حرف الضاد ولا يفرّق بينه وبين الظاء، أو يغيب حرف القاف لينطق ما بين الكاف والجيم، أو مثلا غياب نطق حرف الذال لدى الدارجة المصرية.

ومن المظاهر أيضا حدوثه على مستوى الصرف والاشتقاق (inflectional morphology) ونحن في العربية ندخل بعضه في النحو (انظر مثلا Silvina A. Montrul, 2008:171, 174، و Schmid, and Bot, 2004:216) مثل الموافقة بين حالة الفعل والفاعل كأن نقول في الدارجة: محمد وعلي قاموا (بدلا من قاما للمثنى)، وكذلك في الجنس: أسماء وهند قامن (بدلا من قامتا في الدارجة السعودية).

ومن المظاهر حدوث التآكل على مستوى التركيب (syntax) (انظر مثلا Silvina A. Montrul, 2008:182، و Schmid, and Bot, 2004:216) كأن يختفي تركيب: فعل +فاعل+مفعول به (ضرب محمد عليا) في الدارجة فنقول: محمد ضرب علي. وكذلك اختفاء علامات الإعراب.

وكذلك يحدث التآكل في المعجم (lexicon)، وأحيانا تكون بدايات التآكل ونشوؤه في المعجم (انظر مثلا Silvina A. Montrul, 2008:110,111,187؛ و Cameron. Deborah, 1995)، كأن يستخدم لفظ راح بدل لفظة ذهب وتختفي هذه اللفظة من لغة العربي واستخدامه، ومثلها اختفاء حرف الجر (إلى) من الدارجة السعودية. على كلٍ فقد تساءل شميد وبوت (Schmid, and Bot, 2004:216) عن الانتقال في الشفرة (code-switching) هل يُعد دليلا على التآكل؟ فأجابا بأنه ليس دليلا كافيا؛ لأنه قد يكون استخداما على مستوى السطح فقط (لأسباب عديدة منها التداولية أو أنها أكثر مناسبة

من اللفظة الأم أو لأسباب أخرى... وقد ذكرنا ذلك سابقا). في مقابل ذلك أكّد بعض الباحثين (مثل Pavlenko, 2004 مذكور في Silvina A. Montrul, 2008:66) أن الانتقال في الشفرة قد يكون علامة على ضياع اللغة وفقدانها في حال استُخدم دون مراعاة للمخاطب ولا السياق، فيكون لدى المتعلم مثلا صعوبة في استرداد لفظة ذهب ليبدلها ب: راح.

فأعتقد أن انعدام الموافقة والمطابقة في استخدام المثنى (كما في ذهبا) تآكل لا بد أن نعمل على إعادته للطلاب، كما أن مقابل ذلك وهو التزيد في: راحوا الرجال (كما في أكلوني البراغيث) يدل على وجود تآكل في استخدام القاعدة بشكل صحيح، أي ربما يكون تآكل على مستوى المعرفة اللغوية والكفاية النحوية. وفي العربية ربما أوضح مظهر هو الإعراب حيث كان يهمل حتى قديما كما سيمر بنا في مقولة الفراء والقلقشندي في المواقف غير الرسمية أو الشفهية. إضافة إلى ذلك فالإعراب حسب القواعد الكلية ليس من الأسس بين اللغات (principles) بل من المتغيرات (parameters).

في مقابل ذلك ينبغي أن ننتبه إلى قضية مهمة خاصة فيما يتعلق بتشجيع استخدام الفصحى وقمع الدارجة، فقد ذكر سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:206) أن الاكتساب غير المكتمل في اللغة الأولى (أو نقول في التنوع الأول) يتقاسم مع الاكتساب غير المكتمل للثانية (أو نقول للتنوع الثاني) العديد من الخصائص اللغوية المشتركة. أي أنه إذا وجد اكتساب ناقص في الأولى فإنه سينعكس على أي اكتساب تال. وهذا ما يجعلني لا أرى قمع الدارجة أو تجاهلها مفيدا في العملية التعليمية والبحثية.

كما أن الأدبيات (انظر مثلا Silvina A. Montrul, 2008:231، و Francois Grosjean, 2010) أشارت إلى أن التآكل والتعويض بلغة أو تنوع لغوي قد يكون على مستوى المهارات؛ مثلا نستخدم الفصحى في الكتابة والقراءة، بينما نستخدم العامية في الاستماع والحديث. بمعنى أن يختلف التنوع اللغوي باختلاف القناة (mode). وبالتالي فالمتعلم يميز بين الاستخدامات بجدارة إذا تدرب على ذلك، ولا يُخشى من ضيم لغة أو تنوع على آخر/ ى.

وربما نجد في التراث ما يؤيد رأينا في الدارجة والتساهل فيها في صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي (1987: 1/ 211) حيث ذكر أن الإعراب يلتزم به في "القرآن الكريم والأحاديث النبوية وفي الشعر والكلام المسجوع وما يدون من الكلام ويكتب من المراسلات ونحوها، ويغتفر اللحن في الكلام الشائع بين الناس الدائر على ألسنتهم مما يتداولونه بينهم ويتحاورون به في مخاطباتهم وعلى ذلك جرت سنة الناس في الكلام مذ فسدت الألسنة وتغيرت اللغة" ثم حكى قصة طريفة عن الفراء فقال: "حتى حكي أن الفراء مع جلالة قدره وعلو رتبته في النحو دخل يوما على الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه فقال جعفر بن يحيى يا أمير المؤمنين إنه قد لحن فقال الرشيد

للفراء أتلحن يا يحيى فقال يا أمير المؤمنين إن طباع أهل البدو الإعراب وطباع أهل الحضر اللحن فإذا حفظت أو كتبت لم ألحن وإذا رجعت إلى الطبع لحنت فاستحسن الرشيد كلامه[1]". فالفراء على علو كعبه يستخدم الدارجة الخالية من الإعراب والتي تشتمل على بعض اللحن في المنطوق العادي؛ لكنه يلتزم بالإعراب في العلم والمواقف الرسمية والكتابة.

سأنتقل للحديث عن بعض المظاهر أو الأدوات التي يمكن بها تمييز التآكل من غيره.

كيف نميز التآكل:

طرحت الأدبيات مسألة تمييز التآكل عبر المنهجيات البحثة والأدوات العلمية وتحدثت عنها بصورة مستفيضة؛ ولهذا لن أتحدث عنها بالتفصيل هنا لكن سأعرض بعض المقترحات وأحاول تطبيقها وتوضيحها بأمثلة من اللغة العربية.

تؤكد شميد وبوت (Schmid, and Bot, 2004:210,225) على أننا لكي نحكم بوجود ظاهرة التآكل فلا بد أن يكون هناك مقارنة بين المنحسر (من حدث عنده التآكل) وغير المنحسر (attriters*non-attriters) عن طريق جمع البيانات، ويتم ذلك بأن نقارن ليس الخطأ أو الانزياح (deviant) أو الأخطاء (mistakes)؛ بل نقارن عدة مظاهر بينهما، منها:

1- شيوع الجذور في الكلمات (type-token frequency).
2- الثراء المعجمي (lexical richness).
3- التعقيد النحوي (grammatical complexity).

فيجب البحث في الأخطاء فعلا (errors)، وفي المعجم إضافة إلى حكاية بعض القصص للأطفال لاختبار الطلاقة (السابق 225). وقد استعرضا عدة دراسات على اللغة الإنجليزية على مستوى القواعد ركزت على تحليل الأغلاط (mistakes)، وأخرى استخدمت الرواية والقصّ (قصة) أو الترجمة أو السؤال المباشر عن أحكام نحوية صريحة (judgments/explicit) بسؤال عن المفرد والجمع أو العكس وغيرها... وقد انتقدا بعضها (226) ومشاكلها المنهجية؛ وذلك للصعوبة المنهجية في إصدار حكم بالتآكل كأن نعترض بأن هذه الأخطاء المرصودة هي أخطاء أداء ظاهر وليس كفاية ومعرفة لغوية، كما يمكن أن يكون المخبِر يمارس التجنب على الرغم من معرفته (انظر ص 228 في السابق).

ونؤكد على أن أغلب الدراسات في التآكل تعتمد الدراسات الطولية مثل ما أشار إليه سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:111) تحت عنوان (اكتساب الأولى غير المكتمل)، وربما نرغب في القيام ببحوث مشابهة على العربية الفصحى والدارجة، فقد أشار إلى دراستين طويلتين (Anderson, 1999, 2001) وثالثة أيضا طولية (Silva-Corvalan, 2003) بحثت

(1) هذه المعلومة أشار إليها د. وليد الدوسري في تويتر.

كلها التآكل والاكتساب غير المكتمل في مستوى الصرف الاشتقاقي (inflectional morphology)، وقد ناقش الكتاب التأثير المشابه على مستوى التفاعل التركيبي (النحوي) الخطابي (syntax-discourse interface). كما أكّد على أن الدراسات الطولية تعتمد على بيانات الإنتاج المتزامنة أو التلقائية (longitudinal studies based on spontaneous production data) (ص112).

ننتقل الآن للحديث عن بعض الوسائل التي يمكن أن تسهم في الحد من تفاقم التآكل حين نلمس ظهوره.

وسائل تجنب التآكل:

بعد أن ناقشنا التآكل بأنواعه وقضاياه ومقارباته وعوامله التي تسهم في حدوثه وتزيد من وتيرته ومظاهره التي يتمظهر فيها نعرّج على ما أشارت إليه الأدبيات من وسائل لتفادي حدوث التآكل أو تفاقمه والحد منه. وسيكون الحديث هنا مختصرا لأنني ناقشت عوامل التآكل التي بتفاديها يمكن أن نتجنب التآكل.

فقد ذكر فرانشيسكو (Francois Grosjean, 2010:172) أن هناك عوامل تساعد على الاكتساب والحفاظ على اللغة للطفل، منها:

- كمية الدخل؛ فنحرص على إغراق أطفالنا بالتنوع أو المستوى المرغوب كالفصحى.
- طبيعة الدخل أو نوعه: بأن يكون مكتوبا أو ملفوظا؛ فلا بد من التوازن ما بين المهارات في تعليمها لأطفالنا؛ فلا نعلمهم القراءة والكتابة بالفصحى بينما نغفل الجانب المحكي منها وتدريبهم عليه؛ بل لا بد من تدريبهم على الفصحى محكية.
- دور العائلة؛ فينبغي أن تحرص العائلات والوالدان بشكل خاص على التحدث مع أطفالهم بالتنوع الذي يرغبون به؛ فالكبير بالنسبة للطفل هو النموذج الذي يُحتذى لغويا.
- الاتجاه نحو اللغة وثقافتها؛ فلا بد من تنمية الاتجاه الإيجابي نحو التنوع المرغوب.

كما أشار سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:65) إلى أن من يتعرض لدخل لغة أكثر من تعرضه إلى أخرى (وفي حالتنا تنوع) فإن النقص في الدخل والتعرض يجعل الناقصة عرضة للتآكل وربما إن كانت هي لغته الأم فإن معرفته اللغوية برمتها عرضة لعدم الاكتمال، وهذا يقودنا إلى الحذر من قمع التنوع الذي يمكن وصفه بالأم وهو الدارج. وقد أشرنا إلى ذلك آنفا.

وفي السياق نفسه يؤكد سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:90) أنه حين يكتسب الطفل لغته الأولى (ونقول التنوع الأول) وتعمل لديه هذه اللغة (التنوع) من خلال الاستيعاب والإنتاج والعمليات بشكل كامل فإن المعرفة اللغوية لا يمكن أن تفقد أو تتآكل في مستقبله؛ لكن قد يظهر ما يتوهم أنه تآكل ويمكن نسبته إلى الأداء لا إلى الكفاية؛ أما في حالة مزاحمة نظام لغوي آخر في سن الطفولة فإن التخوف أن يكون التآكل أو الضياع في مستوى الكفاية اللغوية؛

وهذا ما يجعلنا لا نحبذ قمع المستوى الدارج؛ إذ ربما يكون في قمعه حدوث إشكال على مستوى الكفاية للغوية للغة بتنوعاتها المختلفة وتشكلاتها المتعددة.

فلا بد للحد من التآكل أن نطرح على أنفسنا الأسئلة التالية حتى نفهم طبيعة المشكلة لنتعامل معها (لنقاش مشابه انظر Silvina A. Montrul, 2008:65):

- هل التآكل في الأداء أم في الكفاية؟ هل هو سطحي أم عميق؟
- هل هو في الصغر أم لدى الراشد أو المسن؟
- هل هناك مزاحمة للغة أخرى؟ أو لتنوع آخر؟ أو كما قال الجاحظ: "ضيم من لغة أخرى".
- هل اكتمل النظام النحوي للأولى؟ لأن عدم اكتماله ينبئ بخطورة تهدد النظام اللغوي برمته للطفل.
- هل تم اكتساب الكفاية الصريحة أم الضمنية (سنوضح ذلك تاليا)؟
- درجة وعمق التآكل، وهل هو دائم ومتكرر أم يحدث في بعض الأحيان والمواقف اللغوية والسياقات المعينة؟

وقد تحدث سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:270-5) بإسهاب عن كمية ونوعية الدخل المفيد للمتعلم أو الطفل، نشير إلى موضوع مشاهدة التلفاز، هل هو دخل مثل المحادثة مع الناس؟ وهل الاستماع مثل الكلام في الدخل اللغوي؟ (270) وغيرها من الأسئلة المهمة. وقد لخّص بالقول إنه يبدو أن المقصود بالنوعية (الجودة) في الدراسات هو أنها تتفق على أنه: التعرض لدخل "native-like"شبه المتحدث الأصلي (271).

وذكر كذلك (Silvina A. Montrul, 2008:91) أن للعمر أهمية في درجة وعمق التآكل: فإذا ابتدأت الثنائية (ويمكننا القول الازدواجية) مبكرة فإن الفقد اللغوي سيكون أشد ضراوة كما ذكرنا في الفرضية أو المقاربة الأولى (the regression hypothesis). كما أن المعرفة الضمنية للغة إذا حدثت في سن مبكرة فهي أقوى وأقل عرضة للتآكل من المعرفة الصريحة المتعلَّمة والمكتسبة. وفي حال العربية فالدارجة تُعد ضمنية؛ أما الفصحى فمتعلَّمة ومكتسَبة.

ولهذا نؤكد على ضرورة اكتساب الطفل للمستويين: الفصيح والدارج، وربما نقيسه على الثنائية التي أكّد سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:210) بأن المتحدث الأصلي الذي أجاد النظامين كليهما سيستخدمهما دون مشاكل متى ما احتاج إليهما في سياقاتهما.

كما ناقش سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:269) تفاعل العامل الفطري مع الاجتماعي النفسي- في مبحث خصصه لدور الدخل في الاكتساب وفي ضياع اللغة. فقد ذكر أن القدرة الجينية دون ما ينميها من دخل مناسب لا يمكن أن تقوم بإنتاج اللغة واستيعابها (وربما يشير هنا إلى تشومسكي ودور التفاعل الاجتماعي لدى فوتسكي)، لكنه في الوقت نفسه طرح عددا

من الأسئلة (269)، منها:

- ما المقصود بالدخل بالضبط؟
- كيف يمكن قياسه؟ وتحديده كميا وتصنيفه إلى ما يمكن وصفه بأنه دخل ذو نوعية جيدة أو نوعية مناسبة أو ضعيفة؟
- ما الدخل الغزير والوفير؟ وما الدخل الفقير والقليل؟

ثم مضى يناقش بعمق مبينا تفاعل العوامل الفطرية (الجينية) مع الاجتماعية البيئية ومع النفسية الإدراكية ناقلا (269) أن الباحثين التجريبيين ومتبعي المناهج التفاعلية الاجتماعية يبدو أنهم يصورون الدخل بأنه أمر خارجي عن المتعلم والذي هو موجود في البيئة المحيطة؛ في مقابل ذلك شرح كارول (Carroll. 2001, 2005 منقول من Silvina A. Montrul, 2008) أن الدخل نتاج عملية التعلم، ولكي يكون للدخل مردود على المتعلم يجب تحويله إلى جرعة (intake) ليتم إطعامها (أو ليتذوقها) لمكانيزمات التعلم اللغوي. وبعبارة أخرى ذكر أن الدخل عبارة عن عناصر فيزيائية خارجية وعقلية داخلية، والأصوات المنطوقة والكلمات المكتوبة لا قيمة لها إلا إذا استوعبتها ما تحويه عقولنا من إجراءات إدراكية تستقبل وتنظم وتستوعب الضوضاء الصوتية والمحفزات البصرية (المكتوبة) وتصنفها إلى أصوات وحروف ومورفيمات وكلمات وعبارات وجمل وخطاب. فوجود المعطيات اللغوية الخام في البيئة لا يحمل بنفسه أي قيمة حال غياب الميكانيزمات العقلية التي تحوّل هذه المعطيات والبيانات الفيزيائية إلى جرعة مهضومة.

وخلص سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:275) إلى أن الدخل يلعب دورا في اكتساب اللغة وفي ضياعها أيضا إن كان ناقصا أو مشوها. وقبل أن نختم سأناقش بشيء من الإيجاز ما يتعلق بالتآكل حول وضع اللغة العربية في الفقرات التالية.

التآكل في اللغة العربية:

في هذه الفقرات لن أخوض في الازدواجية وهي الظاهرة المعروفة في اللغة العربية؛ ففي الأدبيات قديما وحديثا نقاش مستفيض عن هذه الظاهرة (انظر مثلا الخولي، محمد علي. 1408هـ، والفلاي، إبراهيم صالح. 1417ه، و القعود، عبدالرحمن بن محمد. 1417هـ، و Al-Osaimi. 2010). سأعرض للمظاهر المتعلقة بالتآكل والتي يمكن أن نلاحظ اللغة العربية من خلالها لعلها تساعدنا في تفهم الوضع الطبيعي للغة.

فالوضع الطبيعي للغة العربية حاليا واعتمادا على عوامل لغوية واجتماعية ووجدانية يمكن شرحه بالمعادلة التالية:

$$\text{اللغة العربية اليوم} = \frac{\text{الفصحى}}{\text{الدارجة}}$$

فالفصحى ذات مستوى عال في: الاستخدامات الرسمية (مظهر اجتماعي)، وفي العاطفة والوجدان (مظهر وجداني) لارتباطها بالدين والتاريخ والهوية.

في المقابل الدارجة لا يمكن الاستغناء عنها

في المعادلة اللغوية فهي دعامة تشكيل الكفاية اللغوية والتفكير في بدايات كل عربي؛ لكنها ترتبط بمستويات دنيا في الاستخدامات وفي العاطفة عند الكثيرين على الرغم من ارتباطها بالهوية القريبة (الجماعة والقرية أو المدينة والدولة).

والدارجة تكتسب بينما الفصحى تتعلم (انظر العصيمي، صالح بن فهد. 1440هـ). وهي التي تُستخدم في المهارات الشفهية، وهي أولى المهارات لدى الطفل، فقناتاها الاستماع والكلام. بينما المهارات المكتوبة تنتسب للفصحى، وهي المهارات التالية بالنسبة للطفل ومن يتاح له التعلم، فقناتاها القراءة والكتابة.

وللحديث السابق تداعيات تعليمية وبحثية، فالمنطوق قد يكون منطوقا طبيعيا، وقد يكون منطوقا مصطنعا. وكذلك المكتوب يكون طبيعيا ويكون مكتوبا مصطنعا. ويمكن شرح ذلك بالفقرة التالية:

المنطوق كالحوار بين صديقين هنا منطوق طبيعي (لنقاش مشابه جزئيا انظر Lancaster University, 2018) للتحدث عن ظاهرة منطوقة طبيعية؛ في مقابل المنطوق ليكون مكتوبا مثل وصف مشاهدة الأمطار في وسائل التواصل الاجتماعي عن طريق الكلام؛ إذ يحاول الواصفُ الحديثَ بما تعلمه من أوصاف وتعبيرات مكتوبة في دراسته وتعليمه، أو مثل الحوار الحميم لشخص يتفاصح (أي يحاول الحديث بالفصحى)؛ فالمتحدث هنا يتحدث في موقع الدارجة لغرض طبيعي تستخدم فيه القناة طبعيا (المثال الأول) ليكون طبيعيا؛ بينما في المثال الثاني تُستخدم القناة استخداما غير طبيعي.

ولشرح ذلك في المهارات الكتابية (القراءة والكتابة): الرسالة الرسمية مثلا قناتها القراءة والكتابة، وهما القناة الطبيعية لها؛ بخلاف الحوار بين صديقين والحوار العائلي المكتوب في الكتب ليكون منطوقا. فالإشكال هنا أن القناة غير طبيعية، فهل ألتزم بالتفاصح في أي مستوى وإن كان من أدنى مستويات الدارجة والحميمية بيني وبين شخص عامي لم يتعلم في المدارس؟ أم أعدّل وأكيّف القناة وأعسفها للحوار الشفهي؟ فالسؤال: بأيهما نضحي في سبيل الآخر؟ بالقناة في سبيل التنوع؟ أم العكس.

وللإجابة عن هذه التساؤلات والإشكالات تداعيات في التعليم وفي التعامل مع قناة في تنوع لغوي باستخدام قناة أخرى (أي أنه تعامل غير طبيعي بل مصطنع ومتكلف).

فالحوار يُنطق ليكون:

- منطوقا (حوار بين صديقين) فهو طبيعي. أو
- مكتوبا (وصف مشاهدة مطر كتابة في وسائل التواصل الاجتماعي) فهو هنا غير طبيعي ولغير تنوعه الأصلي.

وكذلك المكتوب يُكتب ليكون:

- مكتوبا (رسالة رسمية) فهو طبيعي. أو
- منطوقا (حوار بين صديقين) فهو غير طبيعي لأنه لا يحتفظ بالتداخل ولا النبر ولا التنغيم ولا النظم الدلالي عموما.

والنتيجة الطبيعية لمثل هذه الحالة أن يكون العربي غير مكتمل الكفاية اللغوية في التنوعين أو اللغتين.

وتبقى الإشكالية قائمة وهي في الإجابة عن السؤال التالي: هل التآكل في الأداء؟ أم في الكفاية (انظر مثلا Cameron. Deborah, 1995:69). فالإنتاج الطبيعي يتحلى بالسرعة والآلية (المرجع السابق والصفحة نفسها). وأي تغير يمكن أن يكون في:

1- المعرفة أو ما تطلق عليه الأدبيات الكفاية:
أ- التمظهر (التشكل)، بأن يكون تمظهرها بشكل خاطئ؛ بينما هي نفسها صحيحة.
ب- الأداء، فيكون الأداء الظاهر خاطئا، مثل زلات اللسان.
ج- الإجراء، فتكون العملية أو الإجراء خاطئة.

2- المهارة:
أ- لفهم.
ب- الإنتاج.
ج- الحكم بالصحة أو الخطأ (المرجع السابق والصفحة نفسها).

ولذلك فلعلنا في اللغة العربية بناء على ما طرحناه في بداية هذا البحث من منهجيات وأدوات بحثية لدراسة ظاهرة التآكل ندرس مثلا عربا مختلفي الجنسيات والأقاليم، مثلا سعودي ومصري وسوري ومغربي ونجدي وحجازي أو نركز على جنسيتين أو إقليمين ونعطيهم صورة ونطلب منهم وصف تلك الصورة والتعبير عنها بدارجة كل منهم ثم نطلب أيضا التعبير عنها بالفصحى من كل منهم، بعد ذلك ننظر الفرق بين التعبيرين (الدارج والفصيح) وهكذا، ونرى المشترك بينهم، وهل المشترك يوافق الفصحى أم لا. وإذا وجدنا في فصحى كل منهم مشتركا حادت عنه بعض الدارجات فإن ذلك يعطينا إشارة في تآكل فصحى من لم يأت بها كما أتى بها أقرانه على الرغم من أنه قد يكون يستوعبها لكن لا يستخدمها دائما.

وبهذه الطريقة نكون حاولنا تحديد الدارجة من الفصحى إجرائيا بأفضل ما لدينا من أدوات متاحة، طبعا مع الأخذ في الحسبان أن المنهجيات والأدوات البحثية لظاهرة التآكل تحتاج إلى مدة طويلة مع نفس المبحوث وإلى مقياسين على الأقل وإلى مجموعة ضابطة (انظر Cameron. Deborah, 1995:68).

كما لا بد لنا من التحفظ في الدراسة والنتائج كما أشارت الأدبيات وعرضناها هنا من أنه قد يكون ما ظاهره تآكل قد يكون نسيانا مؤقتا أو تقهقرا (erosion) (انظر مثلا Cameron. Deborah, 1995:67). كما يمكن لنا أن نحدد عن طريق الدراسات العلمية أطر التراجع (regression) للفصحى وللدارجة كذلك (انظر Cameron. Deborah, 1995:69). كما يمكن أن نتحقق من كون الضياع (الفقد) والنضج والاكتساب مرتبطة بسن معينة (البلوغ العمري أو النضج اللغوي) (انظر مثلا Cameron.

Deborah, 1995:90). ولعلنا بدراساتنا المقترحة هنا نتأكد من مقولة –أوعدمها– أن العربية بمعادلة الفصحى / العامية تختلف عن نظريات اللغة في الثنائية والازدواجية. فللعامية نفسيا لدينا مكانة معينة؛ بينما لها استخداما منزلة أخرى. وهل الدارجة أو الفصحى لدينا تتصف بعدم اكتساب كليا؟ أو أنه اكتساب مشوّه؟ وهل يمكن قياس ذلك عبر معايير مظاهر لغوية محددة (انظر مثلا Cameron. Deborah, 1995:107-8). ننتقل الآن إلى خاتمة الدراسة.

خاتمة:

بعدما ناقشنا ظاهرة التآكل اللغوي محاولين تطبيق هذا المفهوم على اللغة العربية بمستوييها الدارج والفصيح بقي أن نذكّر ببعض الأمور المهمة:

أولاها: أن التآكل ظاهرة يكتشفها اللغوي بمقارنة المتحدث الأصلي بالشخص الذي يُتوقع حدوث تآكل لديه، وغني عن القول أن مفهوم المتحدث الأصلي وكفايته والنضج اللغوي لديه من القضايا التي تُناقش في الأدبيات ولا ينتهي فيها الجدل (انظر مثلا العصيمي، صالح بن فهد. 1440هـ و Silvina A. Montrul, 2008: 250)، وهذا يعني أننا في اللغة العربية لا بد من أن نناقش هذه المصطلحات وعلاقتها باللغة العربية.

ثانيها: أن عدم اكتمال الكفاية اللغوية في اللغة الأم يعني نمو كفاية غير مكتملة في اللغات التالية، وهذا يجعلنا نبدي تخوفنا من محاولة قمع الدارجة رغبة في توجيه اللغة نحو الفصحى. فالدراسات هنا قد لا تعضد هذا التوجه. وأحيانا يكون نقل الأخطاء في اكتساب الثانية سببا في حدوث التحجر والنضج غير المكتمل في بعض الحالات (Silvina A. Montrul, 2008:33).

ثالثها وربما تأكيدا للنقطة السابقة ما رجّحه سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:85) في مبحث (التأثير (النقل) العابر للغات في تآكل اللغة الأولى واكتساب اللغة الثانية) فقد تحدث عن التأثير الكبير والموجِّه للنظام النحوي للأولى لأي عملية اكتساب لاحقة؛ وهذا يجعلنا نستعين بالدارجة –أو نهادنها إن صح التعبير– ونستثمرها لتأثير نظامها النحوي في أي نظام لاحق ولا نقمعها ونتبرأ منها. كما عاد (ص98) وأكّد المعنى السابق ووضّح أنه حينما يكون النظام النحوي الأساسي للأولى مكتسبا ومستقرا خاصة التركيب فيحكم قبضته في الدخل والاستخدام، كما تتضمن مقولاته الكفاية اللغوية لدى تشومسكي ويتوافق مع نظرية الفترة الحرجة. أي أن الأدبيات تتضافر على تأكيد دور النظام اللغوي الأم المكتسَب.

على كل لا بد لنا من التنبيه إلى الأمر الرابع وهو أنه ينبغي لنا التفريق ولو جزئيا بما يلي:

لدينا في العربية مستويان أو تنوعان:

أحدهما رسمي، متعلَّم، له مكانة مرتبطة بهوية دينية وتاريخية وقومية على المستوى الأشمل (macro) وهو المستوى الفصيح.

الآخر شعبي، مكتسب، مقموع تقييميا لكنه مرتبط بهوية اجتماعية مباشرة على المستوى الأقرب (micro).

فالوضع في العربية (انظر لنقاش مشابه Silvina A. Montrul, 2008:249): أن اكتساب العامية طبيعي (قوي ومؤثر)؛ بينما اكتساب أو تعلم الفصحى غير طبيعي أو ممنهج (متأخر وضعيف)، أي مهما تكن صفته فهو متأخر وجاء بعد نظام آخر سواء كان النظام الآخر مكتملا أم لا.

ولهذا نطرح التساؤل التالي: هل يؤثر علينا عدم وجود كل من الفصحى/ الدارجة في جميع السياقات والمواقف اللغوية؟ ولذلك فهما تكامليان؟ وبالتالي لا نستطيع القول إن لدى العربي بعد الاستشهاد وبعد التقعيد نظاما مكتملا للغة معينة؟ إنما نظامان مكملان لبعضهما في لغتين؟ أم أنهما نظامان متنافران يضيم أحدهما الآخر بتعبير الجاحظ.

الأمر الخامس، نؤكد على ما ذكره سلفينا (Silvina A. Montrul, 2008:89) من أن تآكل اللغة الأم إذا حدث في مرحلة الطفولة فهو أعنف منه لو حدث في الرشد، وسيكون فقدان اللغة دراماتيكيا في حالة الأطفال. وقد عاد ليؤكد ذلك بناء على ما عرضه من دراسات شارحا بالقول: إن نقص التعرض للغة الأم أو التعرض لخصائص مَن ليس متحدثا أصليا لا يؤثر بشكل كبير على الكفاية اللغوية في الرشد مستدلا على ذلك بدراسة شميد (Schmid, 2002) والتي قابل فيها يهودا ألمانيين وقد انقطعوا عن الألمانية سنوات عدة لكن لما أجريت التجربة ظهر أن الكفاية اللغوية بقيت لديهم؛ بخلاف مضاد تماما لمن يحدث لديه الضياع في مرحلة الطفولة (ص272).

كذلك في مسألة الفصحى والدارجة (اللغة للعربي عموما) لا بد من مناقشة القضايا المهمة التالية:

1- المتحدث الأصلي للفصحى وللدارجة وشبههما أيضا.
2- الاكتساب، وعدمه أو الاكتساب غير المكتمل سواء في الدارجة أو في الفصحى.
3- النضج اللغوي، وعدم النضج أو النضج غير المكتمل في كلٍ من الدارجة والفصحى.
4- التحجر على مستوى الدارجة والفصحى.
5- مستوى الدقة، الطلاقة، التعقيد، التخطيط في كلٍ من التنوعين.
6- دور الاحتكاك اللغوي والتعرض والاستخدام في عملية اكتساب العربية أو تعلمها.
7- كما نؤكد على أهمية التحديد العلمي لظاهرة التآكل الجزئي سواء في المهارات أو في المستويات والعناصر اللغوية، وهل يحدث التعلم (والتزاحم) متزامنا أم بعد نهاية الاكتساب.

ونشير إلى ما نبهت إليه شميد وبوت (Schmid, and Bot, 2004:227) من أنه لا يوجد متحدث أصلي يُتصور ويُتوقع منه أنه بارع

في كل تنوعات لغته، ولهذا لعلنا نتغافل عن بعض مظاهر التآكل في لغة المتعلمين والشباب. وكذلك من المهم الإشارة إلى أن الدراسات في التآكل تركز على نصف الكأس الفارغ أو بتعبير شميد وبوت على ما ضاع وتهمل ما بقي "what is lost" to the exclusion of "what is retained" (المرجع السابق والصفحة نفسها).

كما لا نغفل أن من لديه تآكل في مظهر أو مستوى قد يكون لديه في المقابل ثراء في مظهر لغوي آخر مثل واصل بن عطاء المعتزلي الذي كان بارعا في اللغة العربية خطيبا على الرغم من كونه ألثغ لا يستطيع النطق بالراء، ويتجنبها في كلامه وخطبه (انظر البيان والتبيين 1423هـ).

ولا زال التساؤل مطروحا: اعتمادا على تأثير اكتساب الثانية (الفصحى) وإسهامه في تراجع الأولى (الدارجة) لماذا لا نتحول إلى فصحاء؟ ولماذا لا تضيع منا الدارجة وتتآكل وقد هاجمناها بالفصحى؟ إذ الأدبيات تشير إلى إمكانية حدوث ذلك (انظر مثلا Cameron. Deborah, 1995:85,90). هل لدينا خطأ ما في تقدير الفرق بين التنوعين؟ هل فشلنا في تحقيق التعليم الحقيقي للفصحى؟

المراجع العربية والمترجمة:

الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر (المتوفى: 255هـ). تحقيق عبدالسلام هارون. 1423 هـ. البيان والتبيين. دار الجيل. بيروت.

الحارثي. إبراهيم بن أحمد. 1433هـ. اللغة الأم: كيف تحيا ومتى تموت. دار المقاصد.

الحمد، ماجد. وحسين عبيدات. 1437هـ-2016 (ترجمة). المرجع في اللغويات التطبيقية. دار جامعة الملك سعود. الرياض.

الخولي، محمد علي. 1408هـ-1988. الحياة مع لغتين (الثنائية اللغوية). الرياض. الطبعة الأولى.

الفلاي، إبراهيم صالح. 1417هـ-1996. ازدواجية اللغة: النظرية والتطبيق. الرياض. الطبعة الأولى.

العصيمي، صالح بن فهد. 1440هـ-2019. اللسانيات التطبيقية: قضايا وميادين وتطبيقات. دار كنوز المعرفة: الأردن. الطبعة الأولى.

القعود، عبدالرحمن بن محمد. .1417. الازدواج اللغوي في اللغة العربية.

القلقشندي، أحمد بن علي. 1987. صبح الأعشى في صناعة الإنشا. تحقيق يوسف علي طويل. دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى.

المحمود، محمود بن عبدالله. 1437هـ - 2016. (تحرير). انقراض اللغات وازدهارها: محاولة للفهم. مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية. الرياض. الطبعة الأولى.

المراجع الإنجليزية:

Al-Osaimi, Saleh. 2010. Beliefs about Second Language Learning. LAP LAMBERT Academic Publishing.

Anderson, R. 1999. Noun phrase gender agreement in language attrition. Preliminary results. Bilingual Research Journal, 23, 318-337.

bilingualism : re-examining the age factor. Amsterdam ; Philadelphia, John Benjamins Publication.

Polinsky, M. 1997. American Russian. Language loss meets language acquisition. Proceedings of the Annual Workshop on Formal Approach to Slavic Linguistics [The Cornell Meeting 1995], 370-406. Ann Arbor MI: Michigan Slavic Publications.

Sharwood Smith, M. 1983. On first language loss in the second language acquirer. In Gass, S. & Selinker, L (eds.). Language Transfer in Language Learning, 222-231. Rowley MA: Newbury House.

Sharwood Smith, M. 1989. Crosslinguistic influence in language loss. In Hyltenstam, K. & Obler, L (eds.). Bilingualism Across the Lifespan, 185-201. Cambridge: CUP.

Schmid, M. 2002. First Language Attrition. Use and Maintenance. The Case of German Jews in Anglophone Countries. Amsterdam: John Benjamins.

Schmid, Monika and Kees De Bot. 2004. Language Attrition. In Daves, Alan and Catherine Elder. The Handbook of Applied Linguistics:210-234.

Seliger, H. 1991. Language attrition, reduced redundancy, and creativity. In Seliger, H. & R. Vago (eds.), First Language Attrition, 173-184. Cambridge:CUP.

Seliger, H. W. and R. M. Vago. 1991. First language attrition. Cambridge England ; New York, Cambridge University Press.

Silva-Corvalan, 2003. Linguistics consequences of reduced input in bilingual first language acquisition. In Montrul, S. & F. Ordonez (eds.). Linguistics Theory and Language Development in Hispanic Languages, 375-397. Somerville MA: Cascadilla.

Anderson, R. 2001. Lexical morphology and verb use in child first language loss. A preliminary case study investigation. International Journal of Bilingualism, 5, 377-401.

Cameron. Deborah. 2012:20-2: Cameron, D. (2012). Verbal hygiene. London; New York, Routledge.

Carroll, S. 2001. Input and Evidence. The Raw Material of Language Acquisition. Amsterdam: John Benjamins.

Carroll, S. 2005. Input and SLA: Adults' sensitivity to different sorts of cues to French gender. Language Learning, 55 Suppl, 79-138.

Edwards, J. 1985. Language, society and identity. Oxford: Blackwell.

Grosjean, Francois, o. 2010. Bilingual : life and reality. Cambridge, Mass., Harvard University Press

Giles, H., Bourhis, R. & Taylor, D. 1977. Towards a theory of language in ethic group relations. In H. Giles (ed.). Language, ethnicity and intergroup relations, 307-48. London: Academic Press.

Goral, M. 2004. First language decline in healthy aging. Implications for attrition in bilingualism. Journal of Neurolinguistics, 17, 31-52.

Green, D. 1986. Control, activation and resource. A framework and model for the control speech in bilinguals. Brain and Language, 27, 210-223.

Lancaster University, 2018. Corpus Linguistics: Method, Analysis, Interpretation. An online course at: www.futurelearn.com/courses/corpus-linguistics/ accessed 13/11/2018.

Montrul, S. 2008. Incomplete acquisition in